ألوان للشجن وأخرى للتأمل

التشكيل يذهب إلى ما وراء التجريد

المصدر : (عمران القيسي)

تاريخ النشر: 04/06/2012

معرضان يشكلان مدخلاً نوعياً لحالة التجاوز التعبيري، سواء على مستوى الماتيريال Material أي المادة التنفيذية للعمل الفني التشكيلي أو النظرة المفعمة بالحضور الزماني للمسطح التصويري، وهو مسطح سيمتلك قابلية فذّة الاستيعاب لكافة الافكار، سواء أكانت مفعمة بالموقف الروحاني، أو مطعمة بردود الافعال المشروعة ازاء حالة التناقض الصعب، التي تعيشها بعض المجموعات البشرية، من هذه النظرة الشمولية، والعامة، نستطيع تحليل معرضين، أقيما في العاصمة اللبنانية بيروت .

المعرض الاول هو الذي أقامه الفنان (سايد يمّين) في صالة من صالات مبنى اليونسكو في بيروت، حيث استخدم أسلوبين منفصلين، أحدهما يتناول وضعاً إنسانياً بلغة تعبيرية شبه مباشرة، وذلك حين طرح أزمة المرأة تحت قسرية النظام الذكوري . حيث جاءت الاعمال هنا، اعتيادية وبسيطة على مستوى التنفيذ، أو على مستوى المعالجة الفكرية، لكن الأهم من هذا الجانب أننا سنرى الأعمال ذات الطابع التجريدي المطلق، والتي نفذها الفنان بمادة الاكريلك، ولكن بحساسية فائقة، حوّلت المسطح التصويري، إلى شجن لوني يحترق وينطفئ داخلياً . حتى لكأن التكوين العام للقوة الاساسية في التشكيل، هي ذلك الشكل الذي يصير ذاكرة شكلية بالضرورة، وليس بالقوة التنفيذية للون المدروس والمشغول بروح احترافية .

لقد عرض الفنان سابقاً في جنيف، وتحديداً في صالة غاليري ايكوينكس Equinoxe فكانت الأعمال التجريدية، اشارة إلى إمكانية ذهاب الفنان اللبناني، إلى المدى الأرحب الذي يتكوّن فيه، فكر تجريدي قائم على معادلة نورانية هي معادلة ضوئية بامتياز لأن الاستعمال الشفاف للألوان هو الذي يدفع بالفنان، في كثير من الأحيان، لأن يفكر إيجابياً في ذلك العالم القائم خلف أي حضور تصويري واضح المعالم، إذ سيرى المساحة بألوانها المتراكمة والشفافة، حركة طبقات متكوّنة وهي مفعمة بكل ما تحمل المخيلة من تفسيرات إيجابية، لمسألة العلاقة بين الالوان والخلفية التي تمثل البياض الإيجابي . هكذا كان يعرض سابقاً في جنيف، في ما سنرى في أعماله، في صالة الاونيسكو ببيروت، ليس أكثر من رد فعل تعبيري، حيال وضع قائم، ليس على صعيد العالم الثالث وحده، بل على صعيد العالم كله، أي حالة التمييز العنصري، بين المرأة والرجل، أو بين الفقراء والاغنياء، الى آخر التناقضات التي نعيشها اليوم .

سايد يمّين فنان لبناني يعيش خارج الوطن، متمكن من لوحته ذات الاشتراطات الذهنية الذاهبة صوب التجريد، لكنه يكرّر نفسه تعبيرياً .

مارتا الهراوي فنانة لبنانية، لها تجربتها الفنية المخضرمة، درست الفن مع الفنان الروسي في لبنان بوريس نوفيكوف وهو الذي تخرج على يديه عدد جيد من الفنانين اللبنانيين . سافرت إلى فرنسا، وعاشت في باريس كفنانة لها موقعها الفني، فنالت جوائز عديدة، وقد اختارت احدى لوحاتها لتصير طابعاً بريدياً .

تعرض الآن في قاعة (ماتوسيان) في جامعة (هايكازيان) الأرمنية في بيروت، وقد احتوى معرضها على 43 لوحة مختلفة الاحجام . امّا التق بين إسبانيا وفرنسا، حيث السعي للسلام والصفاء .

الأسلوب القائم على لصق الورق المغطى بالأصماغ البونال بالذات، على الكانفاس، وتكسير الورق بشكل عفوي، ثم الرسم بمادة الاكريلك فوق هذا المسطح، إنما يشير الى الذهاب صوب الحالة الشكلانية للوصول الى صلب الموضوع الأكثر إثارة، لأن المدى التكعيبي المتكسّر للسطح، سوف يدفع بالفنان، لأن يشتغل بصبر وذكاء، على الموضوع الذي يحمله لمسطحه التصويري .

هكذا فعلت الفنانة مارتا هراوي فهي من الناحية الموضوعية، حمّلت لوحتها الانشائية بموضوع يتناول حالة روحانية، سواء، كانت صرحاً دينياً قديماً، أو قامة قديس ملك، أو مدى أرضي يشكل امتداداً روحانياً لحالة الانعتاق، من ضيق الحاضر والمدينة .

مارتا هراوي، حساسة للعلاقات اللونية، تتعامل بشاعرية، مع اللون، وتلغي أية مداخلة مفاجئة، لذلك فإن الألوان الترابية، بما تمتاز به من دفء وهدوء، هي الأجود لتنفيذ حالة الصفاء الروحي، الذي تسعى الفنانة لأن تذهب إلى جوهره الصوفي، أو إلى ما يسمونه بالإسبانية بحالة (الترانكيلو)، أي الهدوء المطلق والشفاف .

إن قوة الأداء التعبيري عند مارتا الهراوي هو الذي دفعها لأن تتعامل مع معرضها الحالي، معاملة عقلانية وتعبيرية مدروسة، حيث نلاحظ بأن عنوان اللوحة يصير مدخلاً انشائياً، يكاد يفصح عن المضمون التشكيلي، لولا أن الفنانة، وهي بالمناسبة تعي جيداً ماذا تؤلف، ارادت أن تربط اغلب لوحاتها المعلقة بحبل سرّي واحد، وأن تعطي للسطح المكوّن من مداخلة كولاجية ورقية اولى، قيمته الحضورية الجيدة .

وهنا لا بدّ من الانتباه، إلى أن ما فعلته مارتا الهراوي عبر استغلالها لمؤثرات السطح المتكسر على البناء الدرامي للعمل، يعبر عن استمرارية الروح الاختبارية، لدى فنانة مخضرمة، تعيش وتتفاعل مع ساحات لها حضورها الفني الكبير والمؤثر، اذ يكفي أن ترى الطوفان الفني في المون مارتن والشانزليزيه في باريس، أو البلازا مايور وغيرها من الساحات في مدريد، حتى تدرك بأن المدى الاختباري، والموضوعي مفتوح أمام تجربتك الفنية .

مارتا الهراوي، في معرضها الاخير حضرت الى بيروت حاملة مثابرة رعيل الثمانينات الاكثر جرأة .